جماليات التناص في ديوان "لغة الجمال"
للشاعر حسين الرفاعي

أستاذ مساعد دكتور. سناء زكريا عبد المجيد المجايدة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة زايد، الإمارات العربية المتحدة

z10093@zu.ac.ae

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٩/٣

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/١٠/٢٢

الملخص:

تناولنا في هذا البحث دور التناص الأدبي والديني في ديوان "لغة الجمال" للشاعر حسين الرفاعي، حيث تم توظيف التناص الأدبي والديني لتعميق مضامين النصوص الشعرية وتعزيز الهوية اللغوية والثقافية، واستُحضرت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية لربط نصوص الديوان الشعري بالتراث الديني، مما أكسبها بُعدًا روحانيًا وفكريًا عميقًا. كما عزز التناص الأدبي مع الشعراء الكلاسيكيين من دلالات النصوص، مما يجعلها تعبر عن قضايا معاصرة بلغة متجذرة في التراث. خلص البحث إلى أن التناص يُعد وسيلة فعالة للحفاظ على اللغة العربية وتعزيز هويتها في مواجهة تحديات العولمة.

الكلمات المفتاحية: التناص الأدبي، التناص الديني، اللغة العربية، حسين الرفاعي

The Aesthetics of Intertextuality in the Poetry Collection "The Language of Beauty"

Assistant professor .Dr. Sana Zakaria Abdulmajid Almajaidah

Zayed University, UAE , CHSS

z10093@zu.ac.ae

Date received: 3/9/2026
Acceptance date: 22/10/2026

Abstract:

In this research, we explored the role of literary and religious intertextuality in the poetry collection "Language of Beauty" by the poet Hussein Al-Rifa'i. Intertextuality was utilized to deepen the poetic texts and enhance linguistic and cultural identity. Quranic texts and prophetic traditions were invoked to connect the texts with religious heritage, adding a profound spiritual and intellectual dimension. Literary intertextuality with classical poets further enhanced the significance of the texts, making them express contemporary issues in a language rooted in tradition. The research concluded that intertextuality is an effective tool for preserving the Arabic language and reinforcing its identity in the face of globalization challenges.

keywords: Literary intertextuality, religious intertextuality, Arabic language, Hussein Al-Rifa'i

المقدمة

يُعد التناص أحد أبرز المفاهيم الأدبية التي لقيت اهتمامًا واسعًا في الدراسات الأدبية المعاصرة، إذ يتيح للأدباء إدماج نصوص وثقافات أخرى في أعمالهم، ليصبح النص بمثابة تفاعل حيّ بين الماضي والحاضر، بين الذات وأعمال الآخرين. وقد تطور هذا المفهوم ليغدو أداة فعّالة في بناء النصوص الأدبية، حيث يمنحها أبعادًا متعددة، ويعمق من معانيها ليجعلها قادرة على التواصل مع تراثها الثقافي والديني، والتعبير عن فكرها الخاص في آن واحد.

كما يعد التناص تقنية أدبية قديمة ذات جذور عميقة في الأدب العربي والعالمي، حيث استخدم الشعراء منذ القدم نصوصاً سابقة لإثراء نصوصهم وتوضيح أفكارهم. وبهذا، فإن توظيف الشاعر حسين الرفاعي التناص في ديوان "لغة الجمال" هو امتداد لهذا التقليد الأدبي العريق، إذ يعمد الشاعر إلى استحضار نصوص أخرى لتعزيز دلالات قصائده وإيصال رسائل معرفية متعددة الأبعاد. وفي هذا السياق، لا يُعد حسين الرفاعي منفرداً في توجهه نحو الاحتفاء باللغة العربية؛ إذ تتسع الساحة الأدبية الحديثة لتيار أدبي يعكس انشغال الشعراء المعاصرين بقضايا الهوية الثقافية واللغوية، لا سيما في ظل التحديات التي تواجهها اللغة العربية بسبب العولمة والحداثة.

يتضمن ديوان "لغة الجمال"، الصادر عن دار مداد للنشر عام ٢٠٢٢، سبعًا وعشرين قصيدة، حيث يُشكل العمل بأكمله وسيلة للتعبير عن حب الشاعر للغة العربية ودفاعه عن مكانتها، مما يجعله عملاً بارزا في مسار الشعر العربي الحديث. ويعكس الديوان قلقا ثقافيا حول تحديات اللغة في العصر الحالي، حيث يُبرز أهمية الحفاظ على اللغة العربية، ومواجهة التيارات الثقافية وحمايتها بوصفها وسيلة مقاومة لفقدان الهوية الثقافية؛ مما يضع هذا العمل ضمن إطار الأدب الملتزم بالدفاع عن الهوية.

يهدف هذا البحث إلى دراسة إشكالية محورية تتعلق بدور التناص الأدبي والديني في بناء ديوان "لغة الجمال"، وتحليل تأثيره في إبراز العمق الفكري والتاريخي للنصوص. يُطرح السؤال هنا: كيف يسهم التناص الأدبي والديني في تشكيل قصائد هذا الديوان، وما هو تأثيره على تعميق الدلالات التي يعبر عنها الشاعر حسين الرفاعي؟ وكيف يتم توظيف النصوص القرآنية والشعرية القديمة لتحقيق تجربة قرائية تفاعلية؟ من خلال

هذين السؤالين، يسعى البحث إلى الكشف عن أنواع التناص وأثره الجمالي في النصوص، وكيفية توظيف هذه الأبعاد لتعميق المعاني والمشاعر في كل قصيدة.

كما يتناول البحث أهدافاً تشمل تحليل مواضع التناص الأدبي والديني وأنماطه المتنوعة في الديوان، وتوضيح كيفية استلهام الشاعر التراث لتعزيز قيمة اللغة في عصرنا المعاصر، كما يسعى إلى تبيان دور التناص بوصْفه أداة تفاعلية تتيح للقارئ فهْم النصوص على مستويات مختلفة، حيث يُستدعى القارئ لتوظيف معرفته السابقة للتفاعل مع القصائد بشكل أكثر عمقا.

تتجلى أهمية هذا البحث من خلال دراسته ديوان "لغة الجمال" نموذجا تطبيقيا يُظهر كيف يمكن للشعر المعاصر استخدام التناص للدفاع عن مكانة اللغة العربية وتعزيز الهوية الثقافية في ظل التحديات الحديثة التي تواجه التراث الثقافي، ويعبر الديوان عن موقف أدبي مقاوم يسعى للحفاظ على اللغة بوصْفها وسيلة للحفاظ على الهوية العربية.

تعدُّ اللغة العربية من اللغات الحية التي لم يُكتب لها الفناء أو التبديل، فهي تزداد قوة وصلابة وتطوّرا وتكيُّفا مع كل عصر تشرق عليه، وما تزال تحتفظ بصفاتها وخصائصها، من حيث قوة الألفاظ، ورصانة المعاني. وقد تميّزت بأنها لغة العقيدة؛ فهي لغة القرآن الكريم كلام الله عز وجل الذي أنزله على قلب الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم والمحفوظ إلى يوم الدين.

وقد تغنَّى الشعراء قديما وحديثا بحب العربية، فظهرت قصائد شعرية متفرّقة لشعراء زينوا بها دواوينهم ضمن أغراضهم الشعرية الأخرى؛ ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، فهي الأولى – حسب علمي– التي تتناول ديوانا كاملا جميعُ قصائده في تمجيد اللغة العربية والفخر بها والدفاع عنها، وكلّها لشاعر إماراتي، مع إبداع وجمالٍ في توظيف التناصّ، وتنوّعٍ في البحور الشعرية والرويّ، وهي دراسة ستسهم كذلك في إفادة العاملين في الميادين التربوية، ومراكز حماية اللغة العربية، والدراسات الجامعية، بالإضافة إلى أنها ستسهم في تتبّع الحركة الشعرية الإماراتية، والتأصيل للحركة النقدية.

تنبع أهميّة هذه الدراسة من الناحية النظريَّة في إبراز دور الشعر الإماراتي في الدفاع عن اللغة العربية من خلال نموذج ديوان "لغة الجَمال" الذي اختص كله بقصائد تشدو باللغة العربية، وتبرز جَمالها؛ ولم يظهر في الساحة الأدبية – بحسب علمي– ديوانٌ حَوَى بين دفتيه قصائد لم تخرج عن فَلك التغنِّي باللغة العربية، إلا ما

كان من الدكتور أكرم قنبس في ديوانه "تجليات عاشق الأبجدية". أما عن أهمية الدراسة من الناحية التطبيقيَة، فتكمن في سعينا إلى تقديم أنموذج عملي لدراسة الدواوين ذات الموضوع الواحد، والإسهام في التأصيل لحركة نقدية إماراتية معاصرة.

لذلك كان السؤال الرئيس لإشكاليَّة البحث:

ما مظاهر التناصّ الدينيّ والأدبيّ في قصائد ديوان "لغة الجمال"؟

وتتفرّع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

- ما هي أشكال التناصّ الدينيّ والأدبيّ في هذا الديوان؟
- ما الأبعاد الجَمالية التي أضافها إليه؟ وما الغاية منها؟
- كيف يمكننا تحديد النصّ الغائب واستحضاره في النصّ الماثل؟
- بم تمايز النصّ "الرفاعي" عن غيره من المتون المتناصَّة؟
- إلى أيِّ مدى تأثَّر الشاعر بالنصوص الأدبية المختلفة من قبله؟

أما المنهج الذي اتّبعته فهو المنهج التوصيفي– التحليلي الذي يقوم على استحضار التناصّ في قصائد ديوان "لغة الجمال"، مع استجلاء أوجُه التشابه والاختلاف بين النص المدروس والنصوص السابقة، وفهْم سبُل استثمار صاحب الديوان النصوص السابقة، وأشكال استثمارها وتأويلها. وقد وظفتُ الطريقة الاستقرائية في استنطاق النص الشعري.

سنحاول في هذا البحث استعراض الإطار النظري لمفهوم التناص، من خلال التعريف به وشرح أنواعه، واستعراض أهميته، واستجلاء دوره في إغناء المعنى والدلالات في النصوص الشعرية. ثم ننتقل ثانيا إلى التعريف بالشاعر حسين الرفاعي ومنجزاته المعرفية، والتعريف بديوانه "لغة الجمال" بوصْفه عملا شعريا يتناول الدفاع عن اللغة والهوية، مع الوقوف على أشكال تمظهُر التناص الأدبي والديني في "لغة الجمال".

الإطار النظري للتناص

لقد توع مفهوم النص بتوُّع المناهج النقدية التي قاربته، حيث عدّته النظرية البنيوية بنية لغوية مغلقة على ذاتها، لا تحيل على أية مرجعية أخرى، بينما قاربته النظرية السيميولوجية من خلال مكوناته البنيوية

الداخلية، وفي العلاقة التي تربطه بغيره من فروع المعرفة الأخرى.[١] وقد توزعت المسميات التي أسِندت إلى النص إما بوصْفه جهاز نقل لسانيّ يعيد توزيع نظام اللغة في علاقة مع ملفوظات مختلفة، سابقة أو متزامنة،[١] أو سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى، أو عملية إنتاج يتداخل فيها المرسل والنص والمتلقي، أو ممارسة دلالية، أي نظام دلالي مميز حيث تتوالد الدلالة من عملية تستثمر جدل الفاعل (الكاتب) وجدل الآخر (القارئ) والسياق الاجتماعي؛ وبالتالي فهو فضاء متعدد المعاني، يتلاقى فيه عدد من المعاني الممكنة.[٢] من جانبنا نّدعي أنه يمكن اعتبار النص في معناه البسيط كل خطاب ثم تثبيته بواسطة الكتابة التي تعمل على تنّقله الزمني عبر القراءة.

التناص في النقد الغربي

يعد مفهوم التناص سبيلا من سبل المقاربة النقدية لدى النقاد الغربيين، إذ عبْره تتحقق القراءة المكينة للنص من خلال استجلاء أوُجه العلاقة التي تربطه بالنصوص الأخرى سابقة كانت أو محايثة (غائبة على كل حال) والتي تماهت فيما بينها فلم يبق منها إلا الأثر؛ مما يجعله نسيجا من استشهادات سابقة،[٣] وتفاعلا بين أنظمة أسلوبية؛ مما يقود القارئ إلى تبّني نص جديد؛ وذلك ما يقود بدوره إلى اعتبار التناص مفهوما عميقا، تسكنه مفاهيم كبرى، منها الحوارية والتفاعل والاختلاف والحضور والغياب وإعادة الترتيب والإيماء والتحويل والمحاكاة، وهو يمتاز بالبعد الإجرائي والتفكيكي، إذ يساعد الناقد في كشف البنى التحتية للنصوص وتعرية دواخلها، مع تأكيدنا على أنه قدَر كل نص مهما كان نوعه وجنسه.

لقد تعددت وتباينت المناهج والمرجعيات التي حللت مفهوم التناص، وقد كان مستهلها مع الناقد ميخائيل باختين الذي أطلق عليه مصطلح الحوارية أو تعددية الأصوات، وما لبث المصطلح أن عرف ثورة تحليلية مستلهمة من لدن الناقدة جوليا كريستيفا، وتبعهما آخرون.

نبدأ بتعريف ميخائيل باختين الذي وظف مفهوم الحوارية وتعددية الأصوات بدل مفهوم التناص، وتعني الحوارية العلاقة بين أي تعبير والتعبيرات الأخرى.[٤] مدعيا أن الكاتب يتحاور باستمرار مع الآخر،ولا يتحقق له النضج إلا باستيعاب ما سبقه في مجالات الإبداع المختلفة، فيتقاطع معها بصورة ظاهرة أو خفية؛ وبالتالي فالتناص امتداد وارتداد واستحضار في آنٍ معا، فكل ما يُكتب من نصوص، له شرفات وأصول قديمة، بعضها

يدرَك، وبعضها شذرات منسية منطمسة لا ندركها، وإن كنا لا نستطيع أن ننفي وجودها؛ مما يقود إلى القول إن التناص شكل من التماهي مع نصوص أخرى، فهو أشبه بلوح من زجاج يوحي بنص آخر أو يلوح من خلفه نص آخر.[٥]

يشرح باختين مفهومه الحوارية بالقول إن اللفظ يحمل بداخله نواة تواصلية بين الأنا والآخر، فوجود لفظ ما مرهون بلفظ الآخر، أي تقوم بينهما علاقة تقاطع وامتداد، وهذا التفاعل اللفظي هو الحوارية، أي العلاقة بين خطاب الآخر وخطاب الأنا. وهي حوارية معززة بهجنة تلاقي المرجعيات والسجلات وهوامش اللغات في كل نص جامع أو جنس أدبي مكتنز بكل اللغات التي يقوم بينها صراع غير بريء؛[٦] وذلك ما يعني أهمية مصطلح التناص ودوره في اقتراح طريقة جديدة لإدراك أشكال من التقاطع البيّن أو المتضمن بين نصين.

نعرج بعد هذا على تعريف الرائدة جوليا كريستيفا التي استفادت من مفهومي الحوارية وتعددية الأصوات الباختينيين، محوّلة تشبيه باختين التناص بلوح زجاج إلى لوحة فسيفسائية مسنِدة لها الاقتباس، ليكون كل نص تشرّبٌ وتحويل لنصوص أخرى،[٧] والتقاء بها، ليكون قارئا لها وتكثيفا وتحريكا وارتياحا وتعميقا لها.[٨] في سياق نص جامع ونافذ المركزية ينتظم حوله المعنى.

وقد ألصقت كريستيفا بالنص في سياق تناصه مجموعة من النعوت، منها أنه مجموع علامات، وفضاء تناصيّ، ومحور تركيبيّ، وعملية مزدوجة قراءة/ كتابة، وهو أسلوب لتشكيل فضاء النص وللممارسة النصية.

ننتقل بعد ذلك إلى تعريف رولان بارت الذي ألصق بالتناص نعوتا مختلفة – تماما كسابقيه– منها أن التناص مجال تذوب فيه كل هُوية، وأنه نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله، وأنه جيولوجيا كتابات، وأنه قدر كل نص مهما كان نوعه وجنسه، وأنه البؤرة التي تستقطب إشعاعات النصوص الأخرى...[٩]

وقد ذكر رولان بارت أن التناص يعني مما يعنيه أن البحث عن ينابيع عمل ليس إلا استجابة لأسطورة النسب؛ فكل نص يرجعنا بطريقة مختلفة إلى بحر لانهائي هو المكتوب من قبل، وهو نسيج من اقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة.[١٠]

كما ركز رولان بارت على دور القارئ في سيرورة التناص، عبر استحضاره مخزونه المعرفي والثقافي عند قراءة النص، ليظهر له جليّا أن الأنا التي تقترب من النص هي في الواقع مجموعة متعددة من النصوص الأخرى،

ذات شفوات لا نهائية أو بالأحرى مفقودة الأصول قد ضاعت مصادرها؛[11] ويقود ذلك إلى استحالة العيش خارج النص اللامتناهي؛ فالكاتب يصنع المعنى، والمعنى يصنع الحياة.

ننتقل بعد ذلك إلى جوار جينيت الذي وظّف مصطلحا جديدا هو التعالي النصي، مؤكدا بشكل يقينيّ: لا يهمني النص حاليا إلا من حيث تعاليه النصي، أي أن أعرف كل ما يجعله في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص، وهذا ما أطلِق عليه التعالي النصي. والذي يقصد به جوار التواجد اللغوي سواء أكان نسبيا، أم كاملا، أم ناقصا لنص في نص آخر. ويعد الاستشهاد أي الإيراد الواضح لنص مقدم ومحدد في آن واحد بين هلالين مزدوجين أوضح مثال على هذا النوع من الوظائف.[١٢]

وقد أورد جينيت في كتابه "أطراس"[١٣] تعريفا للتناص؛ أساسه الحضور الفعلي لنص معين داخل نص آخر، وبطريقة استحضارية تتأتى من خلال ثلاث صور هي الاستشهاد (Citation) والسرقة (Plagiat) والتلميح (Allusion). ووسّع من هذا المفهوم بتبّني مصطلح المتعاليات النصية، المؤشرة على طرق تشكُّل أوجُه العلاقة بين النصوص من خلال تقاطعها وتداخلها.

بينما أشاد لوران جيني بأهمية التناص لأنه الذي يمنح للنص قيمته ومعناه، ويضعه داخل سياق يساعد القارئ على فتح مغاليق نظام النص الإشاري، ويمنح ذلك النظام الإشاري وعلاقاته المكونة له معناها، إلى جانب دوره في تمكين القارئ من طرْح مجموعة متعددة من التوقعات، والتأثير في أفق التوقع عنده.

ويؤشر لوران جيني على مفهوم إعادة الكتابة، المتمظهر من خلال تحويل عدة نصوص وتشرّبها وتمثلها واستيعابها، ويضطلع بأداء هذه العملية نصٌّ مركزي يحتفظ بمركز الصدارة في المعنى. نستحضر في هذا السياق نظرية "قلق التأثر"[١٤] التي أسس لها هارولد بلوم مدّعيا أن مؤلف النص اللاحق يعاني من القلق كلما طالع نصا من نصوص أسلافه الأولين الذين هم بالنسبة إليه بمنزلة "الأب"، فيحاول فرْض نفسه من خلال تجاوز نصوص المؤلف/ الأب. وقد كانت هذه الفكرة مدعاة لتعمل الكتابة المحايدة على إقصاء الأبوة النصية ومفهوم المبدع الأوحد، وإلى انبثاق مقولة موت المؤلف التي شرعت سلطتها هي كذلك في الزوال باستكشاف مبدأ الحوارية والتعددية الصوتية الباختينيين؛ لينبني التأثير الرمزي على التسلي وليس على الأبوية والاستعلاء، تماما كما يتعدد تأويل النصوص بتعدّد القراء.

التعريف بالشاعر الإماراتي حسين الرفاعي وبديوانه "لغة الجمال"

نبذة عن حياة الشاعر

هو حسين أحمد حسين الرفاعي، إماراتيّ الجنسية، أستاذ مساعد في جامعة زايد بأبو ظبي، وقد درّس مادة اللغة العربية منذ عام ١٩٩٧. حاصل على شهادتين للدكتوراه في اللغة العربية وآدابها؛ الأولى سنة ٢٠٠٦، عنوانها "الرؤية النقدية للشعر عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه"، من جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس بالمملكة المغربية، بتقدير مشرّف جدّا. والثانية سنة ٢٠١٢، عنوانها "العطر في الأدب العربي، العود أنموذجا"، من جامعة محمد الخامس بالرباط بالمملكة المغربية، بتقدير مشرّف جدّا. كما أنه حائز على جائزة الشيخ راشد للتفوّق العلمي سنة ٢٠٠٧.

أشرف على مسابقات أدبية، منها مسابقة الشعر، والحصول على المركز الأول على مستوى مدارس الدولة للعام الدراسي ٢٠٠٠-٢٠٠١، ومسابقة اللغة العربية لجائزة محمد بن خالد للأجيال، والحصول على المركز الثاني على مستوى مدارس الدولة للعام الدراسي ٢٠٠٥-٢٠٠٦. كما اضطلع بمهمة تمثيل وفد الإمارات في مهرجان الملتقى الطلابي الخليجي الأول للشعر للعام ٢٠٠٤-٢٠٠٥، والإشراف على طلاب دولة الإمارات العربية المتحدة الشعراء، والإسهام في لجنة التحكيم، والمشاركة بعدّة قصائد في الأمسيات الشعرية التي أقيمت في هذا المهرجان، وإلقاء توصيات وفود دول مجلس التعاون الخليجي نيابة عنهم.

كما شارك حسين الرفاعي في فعاليّات ولقاءات تلفازية وإذاعية وملتقيات أدبية حول "الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية"، وأخرى حول أسرار عالم العود وأشجار العود، وأخرى حول الاعتزاز بالهوية الوطنية ترجمها عبر قصائد، منها قصيدة في رثاء الشيخ زايد رحمه الله، وقصيدة في مدح صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد حفظه الله، وقصيدة بعنوان يوم الشهيد، وقصيدة بعنوان فرحة وطن...

كما ألّف حسين الرفاعي موسوعة بعنوان "موسوعة العود ودهن العود"، مكوّنة من أربعة أجزاء، سترى النور قريبا.

تقديم ديوان "لغة الجمال" بوصْفه عملا شعريا يتناول الدفاع عن اللغة والهوية العربيتيْن

صدر ديوان "لغة الجمال" للشاعر حسين أحمد الرفاعي عن دار مداد للنشر عام ٢٠٢٢، يتضمن قصائد أبْدعها الشاعر حصريا في التغني باللغة العربية، وتعبيره عن هيامه بها. والحقيقة أن هذه الوحدة الموضوعية لم يُعرف لها مثيل من قبل، إذ لم يعرف الشعر العربي على امتداد عصوره كتابة ديوان عن اللغة العربية فقط، وذلك ما يؤكد عليه الشاعر نفسُه بالقول: "ديوان "لغة الجمال" أول ديوان يجمع بين دفّتيه قصائد تشدو بحب اللغة العربية؛ إذ لم يسبقني شاعر إلى ذلك من قبل"؛ مما يضفي قيمة انفرادية إبداعية وموضوعاتية على ديوان "لغة الجمال".

فضلا عن تعبير الشاعر حسين أحمد الرفاعي عن حبه لغة الجمال، فإنه استمات في الدفاع عنها، ودعا في أكثر من قصيدة إلى المحافظة عليها والتشبث بها، خصوصا في ظل التحديات والإكراهات التي تتعرض إليها اليوم في سياق سيطرة التكنولوجيا الرقمية.

تضمّن ديوانُ لغة الجمال اثنين وثلاثين قصيدة (٣٢)، عدد أبياتها مجتمعة (٥٠٨)، وقد تراوحت القصائد بين مَن كثر عددُ أبياتها (٧٣ بيتا) ومن قلّ عددها (٣ أبيات)، ونُسجت على مختلف بحور الشعر العربي.

نستعرض عناوين القصائد حسب ترتيبها كالآتي: عَنَت وجوه اللغات لها- لغة الجَمال- السرّاج الوهّاج- قرعٌ على باب الجود- عذرا فقد عبس القريض- أميرة القلب- شبيهة الرشا- المبجلة- عندما تبسم الضاد- بهجة اللقاء- ليلاي وليلى ابن المولى- ليلاي وليلى قيس- إلى من يدعون حبها- واحة الشعر- نبع الأصالة- الخل الوفي- الحب الراسخ- شموخ- لغة الحضارة- البدر المنير- معراج إلى حيث الجمال- أميرة اللغات- الحسن بعض سماتها- كم أكرمتَ آلها- صرخة- نصيحة- سبحان مَن صورها- صاحبة الإحسان- حسن لا مثيل له- أبهى الحسان- اللغة المعطاء- ما نطقتْ عن الهوى.

عندما نقرأ الديوان مبحرين في واحة الشعر، نجد أنفسنا حيال قصائد حب ليس يبلى جديدها، فرائدٌ من عمق الشعور وقودُها، أتى بها الشاعر حسين الرفاعي في هودج من زبرجد وراحلته حادي الحنين يقودها، هي برمّتها ذات مقصد واحد هو تمجيد اللغة العربية...

دلالة عنوان الديوان

ازدهى الديوان بعنوان "لغة الجمال"، واستشرف الشاعر حسين الرفاعي تجليات هذا الجمال لدى اللغة العربية، وكان ذلك حقا ميسمًا مرئيّا بالأبصار موافقا للبصائر، وعلى امتداد الديوان ظاهرا.

وعلم الجمال علمٌ يحلل المفاهيم والتصورات الجمالية. وقد حظي بمكانة بارزة بالتحليل والنقد. وورد هذا المفهوم منذ سالف العصور، منها لدى اليونان تحت مسمى استطيقا (Aisthesis) التي تفيد الإحساس أو الإدراك الحسي القائم على أساس الخيال والشعور، بوصْفهما وسيلة لتمييز موضوعات الجمال.[١٥]

وجب في هذا السياق أن نطرح سؤالا عن سبُل تحرّي الجمال، هل الحواس والعاطفة هي الناقلة للحس بالجمال، أم أن العقل يضطلع كذلك بهذا النقل؟ من جانبنا ندّعي أن العقل هو من يقتفي أثر الجمال عن سبْق إصرار وترصّد، مرتكزا على المعرفة المتراكمة المنبنية عن تجارب سابقة وعن إدراك وفهم مكينيْن وعميقيْن لما يدور حوله، في حين أن الحواس تنضوي في مرتبة ثانية بعد العقل، إذ تنوء بنفسها عن استجلاء الأعماق لتلتقط فقط ما هو عابر؛ لنكون بذلك أمام سبُليْن لإدراك قيم الجمال، سبلٌ معرفية موضوعية إلى حد ما، وأخرى عاطفية ذاتية حسية، لنخلص إلى أن المتعة الجمالية هي تعالق معقد بين النزوع الذاتي والمعرفة المدرَكة.

التناص في ديوان "لغة الجمال"

التناص الأدبي

الحقيقة هي أن التناص لا يحمل بين أثنائه بُعدًا شكليّا أساسه التماثلُ بين نصين اثنين سابق ولاحق، بل هو تفاعل وتلاحُم بينهما، حيث يقوم المبدع صاحبُ النص اللاحق بتحوير النص السابق وتغييره، ووحده القارئ المتمكن مَن يستجلي هذا التحول.

وقد لمحنا في الديوان تناصّا مختلفا ومتنوعا مع الشعر، فلا غرو في أن الشعر العربي القديم منذ الجاهلية إلى العصر العباسي مرورا بالعصر الأموي، برواده الكبار الذين تركوا بصمة في المسار الشعري العربي (قيس بن الملوح- المتنبي- أبو العتاهية...) قد شكلوا مصدر تأثير وإلهام للشعراء المعاصرين الذين عملوا على توظيف هذه الأشعار التراثية الخالدة تناصيّا، وفق أشكال تناصية متعددة (اجترارًا أو حوارًا أو امتصاصًا...)، كل بحسب

مقدرته الإبداعية– المعرفية؛ وقد أنتج هذا التناص نصوصا جديدة معتزة بالقديم، وذات حمولة إبداعية جامعة بين الأصالة والمعاصرة، ومنها مَن بقيت وفيّة تماما للأصالة.

نذكر في هذا السياق أن الشاعر حسين الرفاعي قد احتفى أيّما احتفاء بموضوع التناص مع الشعر العربي القديم على وجه الخصوص، والتناص مع قصيدة قيس بن الملوّح بشكل أخص، وكلاهما يشتركان في حب ليلى إنسية "ملوح" بها ولغوية "حسينية مرفوع" جمالها؛ يقول عنها حسين الرفاعي:

سَلَامٌ عَلَى لَيْلَى، سَلَامٌ عَلَى الَّتِي ... إِذَا ضَحِكَتْ، لِلْبَدْرِ مِنْهَا مَلَامِحُ[١٦]

ويقول عنها قيس بن الملوّح:

اِقرَ السَلامَ عَلى لَيلى وَحَقَّ لَها ... مِنّي التَحيَّةُ إِنَّ المَوتَ قَد نَزَعا

ويؤكد حسين الرفاعي على هذا الحب، متناصا أكثر مع كل ما قاله قيس من قصائد في حبّ ليلى، بالقول:

هِيَ مِنِّي كَحُبِّ قَيْسٍ لِلَيْلَى ... هِيَ لَيْلَايَ لَسْتُ أَرْضَى سِوَاهَا[١٧]

ليتناص الشاعر وهو بصدد قصائد حب لا يبلى جديدها، ولا يملّ وهو يعيدها مع أبي العتاهية، قائلا:

قصائد حب لَيْسَ يَبْلَى جَدِيْدُهَا ... فرائد من عمق الشعور وقودها[١٨]

بعد أن قال أبو العتاهية:

ما لِلجَديدَينِ لا يَبلى اِختِلافُهُما ... وَكُلُّ غَضٍّ جَديدٍ فيهِما بالِ

ليتغنى حسين الرفاعي مرة أخرى بعربيته ليلاه:

أَمِنْ حُبِّ (لَيْلَى) أَنْتَ لِلْمَجْدِ نَازِحُ؟ ... لَهَا كُلَّ يَوْمٍ أَنْتَ غَادٍ وَرَائِحُ[١٩]

متناصا مع ما قاله عمر بن أبي ربيعة:

أمن آل نُعمٍ أنت غادٍ فمُبكرُ ... غداة غدٍ، أو رائحٌ فمُهجّرٌ

ليبوح مرة أخرى بتغزله، قائلا:

رَأَوْا (قِفْ بِالدِّيَارِ)، فَمَا ... أَنَاخُوا النُّوقَ أَوْ وَقَفُوا[٢٠]

متناصا مع مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى: قف بالديار التي لم يعْفُها القِدَمُ

ليتناص الشاعر مرة أخرى مع ما قاله أحمد محرّم في ردّه على قاسم أمين:

أَغرَّكِ يا أَسماءُ ما ظنَّ قاسمُ ... أَقيمي وَراءَ الخِدرِ فَالمرءُ واهمُ

بالقول:

أَغَرَّكَ سِحْرُ بَسْمَتِها ... وَوَجْهٌ يُشْبِهُ البَدْرَا؟![٢١]

وجميعهم تناصوا مع امرئ القيس:

أَغَرَّكَ منّي أن حُبك قاتلي ... وأنك مهْما تأمُري القلبَ يَفعل

ويستمر تغنّي الشاعر حسين الرفاعي بجمال اللغة العربية، وتتناص قصائد مع أخرى في مجملها قديمة تراثية من صميم الشعر الجاهلي الأصيل الذي يشكل علامة بارزة في تاريخ الشعر العربي على امتداد العصور؛ وندرج في هذا السياق الأمثلة الآتية التي نستهلها – كما ذي قبل– ببيت للشاعر المحب لغة الجمال حسين الرفاعي نردفه ببيت للشاعر العربي الذي تناص معه:

إِذَا جَمَدَتْ مِنَّا الْمَشَاعِرُ بُرْهَةً ... بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكِ ذَابَ جَلِيْدُهَا[٢٢]

قال المتنبي:

بأدنى ابتسامٍ منك تحيا القرائحُ ... وتَقْوَى من الجسم الضعيف الجوارِحُ

أَلْحَانُكِ تَسْقِيْنِي شَهْدَاً ... اَلْأَخْرَسُ لَوْ أَصْغَى خَطَبَا[٢٣]

قال أبو الطيب المتنبّي مادِحا:

لو حَلَّ خاطِرُهُ في مُقعَدٍ لَمَشى ... أو جاهِلٍ لَصَحا أَو أَخرَسٍ خَطَبا

رَأَوْا (يَا ظَبْيَةً) تَرْعَى ... عليها يَعْظُمُ الْأَسَفُ[٢٤]

مطلع قصيدة للشريف الرضي:

يا ظبية البان ترعى في خمائله ... لِيَهْنِكِ اليوم أنّ القلب مرعاك

ويستمر تغنّي الشاعر حسين الرفاعي بجمال عربيته البهية التي تغنيه عن كل شيء آخر، متناصا كعادته مع شعراء عرب، وفي ذلك تأكيد على ولهه بالشعر العربي القديم؛ لأجل ذلك نورد الأمثلة التالية:

مُذْ أُنْشِدَتْ (عَفَت الدِّيَارُ مَحَلُّهَا) ... بَقِيَتْ كَوَرْدٍ، مَا تَيَبَّسَ أَوْ ذَوَى[٢٥]

قال الصحابيّ لبيد بن ربيعة –رضي الله عنه– في بداية معلّقته:

عفت الديار محلُّها فمقامُها ... بمنى تأبّد غولُها فرجامُها

الحقيقة أن أبيات الشاعر حسين الرفاعي في حب اللغة العربية والتغزل بجمالها لا تنضب، كناية عن ما قلناه عن تشبّعه بالثقافة العربية القديمة، وحفظه أشعارَ شعرائها حيث يتناص الشاعر مع المعاني التي يطرحونها في قصائدهم، وخصوصا على المستوى اللفظي، حيث نجد لفظا أو لفظين في البيت الشعري؛ لأجل ذلك نورد الأمثلة الآتية، التي نستهلها ببيت شعري تناص فيه الشاعر بمصطلح الريم مع ثلاثة شعراء هم الشريف الرضي وأحمد شوقي وعلي الغراب الصفاقسي:

لَمَّا وَصَلْتُ، رَأَيْتُ سِحْراً فَاتِناً ... مَا ظَبْيَةٌ نَشْوَى! وَمَا رِيْمُ الْفَلَا ![٢٦]

قال الشريف الرضي: يا ظَبيَةَ البانِ تَرعى في خَمائِلِهِ ... لِيَهنَكِ اليَومَ أَنَّ القَلبَ مَرعاكِ

قال أحمد شوقي: ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

قال علي الغراب الصفاقسي: أسمعت ما قد قال لي ريمُ الفلا ... لمّا عدوتُ وراءهُ وتلفّت

ليقول الشاعر: قَدْ قُلْتُ حَقّاً، مَا نَطَقْتُ عَن الْهَوَى ... مَا ضَلَّ شِعْرِي –إِذْ وَصَفْتُ– وَمَا غَوَى[٢٧]

بعد هذا الغزل الغزير في حب اللغة العربية الذي يتناص فيه الشاعر حسين الرفاعي ألفاظه بدرجة أولى وبمعانيه بدرجة ثانية مع قصائد شعرية متنوعة زمنيا، نلفي تناصا آخر مشابها لفظيا مع تغيير على مستوى المعاني، إذ هي فيما يأتي بصدد هجو:

زَرَعْتُمْ بِأَذْهَانِكُمْ حَنْظَلاً ... وَكُلٌّ سَيَحْصُدُ مَا يَزْرَعُ[٢٨]

قال أبو العتاهية: ما يُنالُ الخَيرُ بِالشَرِّ وَلا ... يَحصِدُ الزارِعُ إِلّا ما زَرَع

بعد استعراض هذه الأمثلة (التي هي غيض من فيض) عن التناص، نستحضر ما ذكره الشاعر حسين الرفاعي في مقدمة ديوان لغة الجمال: "وربما أشرت في ديواني أحيانا إلى بيت لشاعر كبير تأثرتُ به أسلوبا دونما إدراك أو تقصّد مني لذلك –غالبا– في لحظة الكتابة، ثم يتضح لي لاحقا تأثري بأسلوبه." ويحيلنا ذلك على حضور نوع من التناص هو التناص اللاواعي الباطن حيث يكون فيه المؤلف غير واع بحضور نص أو النصوص

الأخرى في النص الذي يكتبه؛[٢٩] ومعنى أن يكون التناص لا واعيا، تذويب نص الآخر ومحوه وإعادةُ خلقه بالكامل، بحيث لا يعود أكثر من ذكرى بعيدة أو مصدر إلهام للنص بين مصادر أخرى.

ولا زال الكثير من النقاد المعاصرين يعتقدون أن التناص ذو طبيعة لا واعية فقط، لأنه نتاج القراءة الأثرية المطموسة في أعماق الكاتب؛ يقول عبدالملك مرتاض: التناص هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمّن ألفاظا وأفكارا كان التهمها في وقت سابق، دون وعي صريح ذا الأخذ المتسلط عليه من مجاهل ذاكرته ومتاهات وعيه؛[٣٠] مما يعني أنّ حضور النصوص يتم من مشارف اللاوعي؛ وذلك ما نلمسه في أبيات شعرية دون أخرى.

وقد لمسنا من خلال النماذج السابقة اتكاء الشاعر على التناص المنبني على المحاكاة المقتدية التي يقتدي من خلالها بنص تراثيّ سابق هو النص الشعري، عبر المماثلة والاقتداء أي الكتابة على نفس المنوال؛[٣١] وفي ذلك –على ما نظن– وفاءٌ للقصيدة الشعرية القديمة، وتشبّهٌ بها بالنظر إلى مكانتها الأثيرة لدى الشاعر حسين الرفاعي.

لننتهي إلى القول إن التناص الشعري لدى الشاعر حسين الرفاعي كان غنيا وغزيرا، وتمثل أكثر في التناص على مستوى البنية اللفظية، كما أنه كان تناصّا ظاهرًا وواعيًا به، وقد شمل أشعارًا ممتدة زمنيّا من العصر الجاهلي إلى عصر الأنوار.

كما أننا نشير إلى أن هذا التناص دلّنا على موسوعية الشاعر حسين الرفاعي، فتناصه هذا ينم عن حفظه الشعر العربي واعتزازه به، كما يدل على سعة ثقافته، واعتزازه بالهوية العربية في بُعدها الشعري...

كما اكتشفنا من خلال قراءاتنا المتواترة للديوان أن الشاعر حسين الرفاعي يتناصُّ مع الأمثال العربية كذلك، إذ لم يقف التناص عند الحدود السابقة، بل تجاوزها إلى المثل العربي الذي يُضرَب لدى الناس ويوحي بما يوحيه من معانٍ ودلالات. ولعل احتفاء الشاعر حسين الرفاعي بالأمثال العربية وتناص شعره معها يؤكد فكرة اعتزازه بالهوية العربية– الإسلامية في شتى تمظهراتها؛ وتتجلى هذه الأمثلة في ما يأتي:

– قَد اجْتَمَعُوا عَلَى حَشَفٍ ... أيبهر عاقلا حشف؟[٣٢]

أَيُبْهِرُ عَاقِلاً حَشَفُ!! "أحشفاً وسوء كيلة"؛ تناص واضح مع مثل عربي، وقصته أن رجلا ابتاع من رجل تمرا، فأعطاه حشفا وهو "التمر الرديء" الذي ليس له نوى لشدة رداءته، ثم أساء له في الكيل والوزن، فقال له: أحشفا وسوء كيلة؟! فذهبت مثلا.

– وَأَنَا الَّذِي – بِسَخَائِهَا– كَلِمَاتُهُ ... وَحُرُوْفُهُ شَبَّتْ عَنِ الْأَطْوَاقِ[٣٣]

"شبَّ عمرو عن الطوق"؛ تناص مع مثل عربي قديم لا يزال متداولا، مع حذف كلمة عمرو. ويعبر عن بلوغ أحدهم مرحلة النضج، ولم يعد ذلك الفتى المدلل الذي يُلبّس طوقا في رقبته.

– مَنْ حَاتِمٌ؟ مَنْ نِظَامُ الْمُلْكِ؟ مَنْ هَرِمٌ؟ ... إِذَا سَخَوْتِ؛ فَأَسْمَى الْأَكْرَمِيْنَ سَخَا[٣٤]

"أكرم من حاتم"؛ أي حاتم الطائي، وفي ذلك تناص مع مثل عربي قديم، وقد تناصت نصوص شعرية كثيرة مع هذا المثل أو القول السائر منها ما قال أبو تمّام في مدح المعتصم:

إقدامُ عَمْرٍو في سَماحةِ حَاتِمٍ ... في حِلمِ أحنَفَ في ذَكاءِ إيَاسِ

بهذا فإننا نكون بصدد تقاطعات لغوية وأسلوبية على نحو مباشر مع النصوص الغائبة، كرستها الأمثال الشعبية، وزادت من مكانتها تناصات شعرية قديمة، لينتهي بنا بها حاليا الشاعر حسين الرفاعي، مكرسا سيرورة الثقافة العربية– الإسلامية، مُلحا على ضرورة الاهتمام بها وإيلائها ما تستحقه من مكانة، خصوصا خلال هذا العصر الرقمي الذي يذوب فيه المدادُ الأزرق والورق.

التناص الديني

يشكل الموروث الديني بشكليْه القرآني والنبوي المحمدي مصدرًا مهما من المصادر التي استفاد منها الشعراء العرب المسلمون على امتداد العصور، بالنظر إلى ما يشكله الدين من مكانة مكينة لدى المعتدّين به، فهو مُمدّهم بالقوة والقدرة على الحياة بشكل لا ينفصم؛ فيكون التناص الديني تعبيرًا عن هذا التحاور والتجاور، عن طريق الاقتباس والتضمين.

لقد مثَّل الخطاب الديني – بوصْفه محور العلوم والمعارف– أرضية انطلق من خلالها الشاعر حسين الرفاعي للتعبير عن رؤيته العالمَ، فعدّه مرجعية ثقافية واجتماعية وفكرية عكست موقفه من قضايا عصره، وتصوُّره لما

يدور حوله، خصوصا في زمننا هذا الذي عرف مجموعة من التطورات على مستوى المجالات، وكانت اللغة العربية في صميم هذا التطور والتصور.

ذلك ما سنحاول الوقوف عليه من خلال استجلاء التناص الديني لديوان "لغة الجمال" مع القرآن الكريم أولا، ومع الحديث النبوي الشريف ثانيا.

التناص مع القرآن الكريم

لقد شكّل القرآن مرجعًا أساسا للمسلمين (وغيرهم) على امتداد العصور، لما يحمله من معارف تند عن الحصر، وأبعاد لامحدودة للحياة وللإنسان؛ وذلك ما جعل الاغترافَ من منهله وزلاله العذب وتأمّله واستيحاء واستلهام معانيه أمرًا لا محيد عنه لدى الشعراء والكُتاب الذين ضمّنوا آياته البينات في كتاباتهم، وتناصت نصوصُهم معها بشكل أو بآخر.

وارتباطا بـ"لغة الجمال"، نقول إن النص القرآني قد تبوأ المقام الأول بين المصادر التي شكلت مادة غنية غزيرة في شعر حسين الرفاعي؛ ولا غرو في ذلك لأن النص القرآني هو الذي يراوح الذاكرة العربية لا يفارقها، بالنظر إلى خصوصيته وغناه الدلالي والتاريخي، ودوره في تعضيد واغتناء النص الجديد.

وقد تنوعت استلهامات الشاعر القرآنَ الكريم، فهو تارة يستوحي مضمون الآية أو فكرتها الأساسية، أو استدعاء بعضَ المفردات والتراكيب القرآنية.

وحتى نعمد إلى حصر بعض هذه الأمثلة، فقد قمنا بتصنيفها من حيث مضمونها، وفي ذلك سعيٌ منا إلى استجلاء معاني الديوان الجميلة عن "لغة الجمال". فقسمنا هذه البنية الموضوعاتية إلى الذاتي، والطبيعة، وحصن الله وحمايته، والحساد.

- حيث نلفي الشاعر يقترب من العربية الممدة بالحُب محاورا لها ومعتزا بها؛
- وفي الجانب الطبيعي يتحدث عنها وهي الممدة بالحَب والنوى بوصْفها حديقة رحبة ترحب بروادها ومحبيها؛
- وفي مجال وصْفها بأنها محصنة من الله تعالى الذي يحميها يؤكد على حظوتها هذه؛
- أما في الشق المتعلق بالحساد فإن الشاعر يدعوهم إلى الرجوع إليها والاهتمام بها، إذ لا غنى لهم عنها.

وسنستشرف هذه المعاني في ما يأتي:

ففيما يتعلق بالجانب الذاتي، نقرأ أن الشاعر يعد لغة الجمال منيته التي يبذلها كل شعره، فيقول:

ولغة الجمال في بيت شعري قد ملكت مشاعر الشاعر، ليبوح لها:

– أَنَّى أَتُوْهُ وَقَدْ مَلَكْتِ مَشَاعِرِي ... وَمَلَأْتِ دَرْبِي بِالسَّنَا الْوَهَّاجِ ؟![٣٥]

وفي ذلك تناص مع قوله تعالى: [وجعلنا سراجاً وهّاجا][٣٦]

أما في ما يخص الطبيعة، فإننا نجد اقتباس الشاعر آيات كريمة كثيرة تصب في بحر لجيّ من المعاني، يبحر فيه الشاعر ليبدع فضاءات طبيعية تشكّلها اللغة العربية الجميلة الغنية الخضراء المعطاء؛ فهي الكوكب، والبحر ذو اللؤلؤ المكنون، والنهر العذب الفرات، والظل الظليل، والوابل الطل، والغيث الهاطل؛ وذلك ما سيستجليه القارئ في هذه الأمثلة:

– وَمَا كَوْكَبٌ إلّا وَيَسْبَحُ في الْفَضَا ... يَظَلُّ يُطَوِّفُ حَوْلَهَا وَيَدُورُ[٣٧]

قال تعالى: [وكلٌّ في فلك يسبحون][٣٨]

– الْبَحْرُ لُؤْلُؤُهُ الْمَكْنُوْنُ في صَدَفٍ ... وَأَنْتِ لُؤْلُؤُكِ الْبَرَّاقُ قَدْ طَفَحَا[٣٩]

قال تعالى: [وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ][٤٠]

– وَنَهْرٌ سَلْسَلٌ عَذْبٌ فُرَاتٌ ... يَطِيْبُ بِشُرْبِهِ نَهَلٌ وَعَلٌّ[٤١]

قال تعالى: [وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ][٤٢]

– للهِ ! تِلْكَ النَّخِيْلُ البَاسِقَاتُ، لَهَا ... طَلْعٌ نَضِيْدٌ، عَلَيْنَا تَنْثُرُ الْبَلَحَا[٤٣]

قال تعالى: [وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ][44]

نستشف من خلال هذه الأبيات الشعرية كلها كيف تغنى الشاعر حسين الرفاعي باللغة العربية، وصوّرها فضاءً طبيعيا خلابًا، يتضمن البحار والوديان ذات المياه الجارية التي يسقيها الغيث رطَبا جنيّة، وفي ذلك اعتزازٌ بهذه اللغة وتصويرٌ جميل لها، بوصفها لغة معطاء يتجول محبّوها الموظّفون لها بين رحابها البهية...

توحي هذه الأمثلة بأن التناص القرآني نص متفرد بالقداسة، فقد لفت أنظارَ المتلقين منذ زمن بعيد، وما زال يهيمن روحيا وجماليّا ،لأنه نص مطلق مكتوب وشفهيّ معا، مطبوع وحياتيّ،[٤٥] ويحمل الكثير من أبعاد اللامحدود للحياة وللإنسان...؛ وقد تجمّل به الشاعر حسين الرفاعي وهو يصف لغة الجمال بأجْمل الصفات.

أما في ما يخص الجانب المتعلق بالحساد، فإننا نلفي الشاعر حسين الرفاعي يضيق ذرعا بالمناوئين اللغة العربية الذين يضيق صدرهم بها، ويحثهم على التوسل بها والتبتل إليها، فهي لغة القرآن ولغة الضاد وموطن الجمال والحاوية للأسرار. ويصاحب هذا الحثَّ تناصٌّ مع القرآن الكريم، عن طريق اقتباس كلمات من آياته الكريمة؛ للتدليل على ذلك نورد الأبيات الشعرية الآتية، التي يخاطب فيها الشاعر مشاعرَ حساد اللغة العربية:

– كَأَنَّ بِعَيْنِهِ رَمَداً ... كَأَنَّ بِسَمْعِهِ وَقْرَا[٤٦]

قال تعالى: [وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا][47]

– رُوَيْدَكَ، إنّ شانِئها ... ينالُ بِشَنْئِها خُسْرا[٤٨]

قال تعالى: [إنّ شانئك هو الأبتر][49]

– وَلَوْ أَنَّهَا صَمَتَتْ مُدَّةً ... لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا[٥٠]

قال تعالى: [إذا زُلزلتِ الأرضُ زلزالَها][51]

فلن تنال اللغة العربية ضغينةُ الحساد، لأنها تنال حفظ الله تعالى، وعن ذلك يقول الشاعر مخاطبا:

– لَسَوْفَ يَحْفَظُكِ الْجَبَّارُ مِنْ حَسَدٍ ... مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمِنْ كَيْدٍ لِأَفَّاكِ[٥٢]

بُشْرَاكِ، كُلُّ اللغَاتِ يَعْتَرِيْهَا الْفَنَا ... وَأَنْتِ يَكْلَؤُكِ الرَّحْمَنُ، بُشْرَاكِ

قال تعالى: [إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا له لَحَافظُون][53]

أما التيمة المتعلقة بحصن الله وحمايته، فلا غرو في أن اللغة تحظى برعاية ربانية، كيف لا وهي لغة القرآن الكريم المنزل على الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك ما يؤكد عليه الشاعر في زمرة أبيات (تستحضر التناص الديني القرآني)، منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

– حَمَوْها مِنْ أعَادِيْهَا ... وَمَا وَهَنُوا وَمَا ضَعفوا[٥٤]

قال تعالى: [فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا][55]

– حِصْنَاً لَهَا مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُكَابِرٍ ... لِتَظَلَّ بِالْقُرْآنِ دَارَ سَلَامِ[٥٦]

قال تعالى: [لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ][57]

هكذا نخلص إلى أن أبيات القصيدة تتناصّ مع آيات القرآن الكريم، من خلال اقتباس كلمات منه. وقد وقفنا على أمثلة عديدة من هذا الاقتباس، انطلاقا من تيمات رئيسة جمعنا أبياتا تصب في بحرها، هي الذاتي المتعلق بحضور ذات الشاعر وهو بصدد مخاطبة لغة الجمال والتقرب منها والتغزل بها في أحيان كثيرة، والجانب الطبيعي الذي صوّر من خلاله الشاعر اللغة العربية فضاء طبيعيا خلابا بوديانه وبحوره، وتيمة الحساد الذين خاطبهم الشاعر حسين الرفاعي داعيا إلى رجوعهم عن طريقهم غير السالك، وتيمة متعلقة بحصن الله اللغة العربية لغة القرآن وحمايته لها من كل مارد وحاسد.

على أن مما أثار انتباهنا أكثر من مرة أن الشاعر يقتبس ويتناص مع النص الديني القرآني أكثر من مرة؛ أي استلهام آيتين قرآنيتين أو ثلاث في بيت شعريّ واحد؛ وفي ذلك إغناء أكثر للمرجعية الدينية في ديوان لغة الجمال، باعتبار هذه المرجعية الدينية أساسا مكينا لدى الشاعر.

إن هذا الاعتزاز بالخطاب القرآني لدى الشاعر حسين الرفاعي يمنح هذه الأبيات الشعرية مكانة متميزة لدى القارئ، خصوصا إذا ما استحضرنا أن "الذهن بطبعه يترع إلى حفظ المقدس ومداومة تذكّره، فلا وجود لذاكرة في كل عصر تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيا أو شعريا."[٥٨] غير أننا نشير إلى أنه كثيرا ما أسهم الشاعر حسين الرفاعي في إعادة النص القرآني بشكل حرفيّ، ولم يعمد لإخفائه وطمسه ببعض التغييرات.

التناص مع الحديث النبوي الشريف

يحظى الحديث النبوي الشريف بعد القرآن الكريم كلام الله المقدّس بمنزلة عظيمة لدى المسلمين، فهو الصادر عن لسان عربيّ مبين فصيح هو مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد توارثت الأجيالُ بدءًا من الصحابة الكرام إلى فقهائنا المعاصرين الأحاديثَ النبوية الشريفة، واعتنوا بها رواية وشرحا وتحقيقا. كما استلهم كثيرٌ من الشعراء والأدباء الحديثَ النبوي الشريف وضمّنوه في نصوصهم وكتبهم، معتزين بمضمونه أو معضدين به

أفكارهم؛ ونشير في سياق موضوعنا إلى أن أنموذج هذا البحث الدكتور الشاعر حسين الرفاعي قد اهتم كذلك أيّما اهتمام بالحديث النبوي الشريف، مستلهما معانيه وكلماته على امتداد ديوانه لغة الجمال؛ وذلك ما سنحاول استجلاءه من خلال الأبيات الشعرية الآتية:

– فَلْيَهْنِكِ مَا قَالَ الشُّعَرَا ... وَلْيَهْنِكِ مَا خَطَّ الْأُدَبَا[٥٩]

في هذا البيت الشعري تناص مع ما ورد في صحيح مسلم في قوْل الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطبًا الصحابي أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: (لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر)

– وَلْيَكْتُبُوا عَنْهَا كَلَاماً بَاطِلاً ... سَنَرُدُّ بِالْآيَاتِ خَيْرِ كَلامِ[٦٠]

حيث يتناص هذا البيت الشعري مع ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (أفضلُ الْكلامِ بعدَ القرآنِ أربعٌ وهُنَّ منَ القرآنِ سبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكبرُ)[٦١]

يتجلى لنا من خلال هذه المتناصات الشعرية مع الحديث النبوي الشريف أن الشاعر حسين الرفاعي قد غيّر من أسلوبه في التناص، إذ أنه يستحضر الحديث النبوي الشريف، ويتفاعل معه تحويرًا وتغييرا دون مساس بمعناه الأصلي، فهو لا ينقل ألفاظه مقتبسا لها كما هي.

لقد احتفى الشاعر كثيرا بالتناص مع الحديث النبوي الشريف، وفي ذلك وعيٌ منه بمركزية الحديث النبوي الشريف في الثقافة العربية الإسلامية، إذ يشكل في قيمته الدينية المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم؛ ولا أدلّ على اهتمام الشاعر بهذا التنوع التناصي عندما نعلم أننا بصدد تناص دينيّ جامح خادمٍ اللغة العربية لغة الإسلام؛ وعن ذلك يخاطب الشاعر اللغة العربية بالقول:

أَسَيِّدَتِي، إِنَّ مَا بَيْنَنَا ... أَوَاصِرُ في الدِّيْنِ لَا تُقْطَعُ[٦٢]

وفي ذلك إشارة إلى العلاقة الوطيدة بين اللغة العربية والدين الإسلامي.

كما شمل التناص الديني تناصا مع مصطلحات الحديث الشريف؛ ومن ذلك نسوق الأمثلة الآتية:

عندما تبسم الضاد وَكُلُّ حَدِيْثٍ رَوَتْهُ صَحِيْحٌ ... إِذَا كَانَ عَنْ فَضْلِهَا مُسْنَدَا[٦٣]؛ وفي هذا البيت إشارة إلى مصطلحات (صحّة الحديث) و(رواية الحديث) و(إسناد الحديث) وكلّها مصطلحات يوظفها علماء الأحاديث النبوية الشريفة، وإن كانت في هذا البيت تورية، إذ المقصود مختلف عن تلك المصطلحات الحديثية.

نشير كذلك إلى وجود تناص مع معارف أخرى، منها استلهام الشاعر ألفاظا قضائية (تهمة، إدانة، إفحام) في بيته الشعري الآتي: لَمْ يَلْقَ أَيَّةَ تُهْمَةٍ وَإِدَانَةٍ ... قَدْ أَفْحَمَتْهُ غَايَةَ الْإِفْحَامِ[٦٤] وألفاظا قضائيّة أخرى منها الإنكار والإجرام في بيته الشعري الآتي:

إِنَّ التَّنَكُّرَ لِلْوَفَاءِ جَرِيْمَةٌ ... بَلْ إِنَّ هَذَا غَايَةُ الْإِجْرَامِ[٦٥]

إضافة إلى عبارة الوفاء بالحقوق، المتضمنة في البيت الشعري الآتي:

وَاللهِ مَا وَفَّيْتُ بَعْضَ حُقُوْقِهَا ... دُوْنَ الْوَفَاءِ بِذَاكَ تَنْهَدُّ الْقُوَى[٦٦]

ناهيك عن رصْدنا تناصّا تاريخيّا واردا في البيت الشعري الآتي:

(الضَّادُ) تَجْمَعُنَا كَصَرْحٍ شَامِخٍ ... مُتَمَاسِكٍ كَحِجَارَةِ الْأَهْرَامِ[٦٧]

هكذا نستجلي اهتمامَ الشاعر حسين الرفاعي بالتناص مع الحديث النبوي الشريف، وتوظيف مصطلحاته، والتناص مع أقوالٍ للصحابة الكرام؛ وفي ذلك تأكيدٌ من الشاعر على ما يشكله هذا المقوم الديني من مكانة بارزة لديه وفي الثقافة العربية– الإسلامية؛ فلا جدال في أن تاريخ السلف الصالح هو فرصة لاستحضار أقوالهم وفضلهم وصلاحهم، لاستخلاص العبر من الماضي، والارتقاء بالواقع الأخلاقي والمعرفي والإبداعي والتصوري للحاضر.

وهو تناص في مجمله ظاهرٌ ينشأ عندما تكون النصوص السابقة التي تتداخل في نص أو خطاب المؤلف جزءًا من الموروث الثقافي الجمعيّ لجماعة بشرية معينة، كالنصوص الدينية، والأساطير المحلية، والأمثال والأقوال السائرة، كما يكون صريحاً عندما يشير المؤلف صراحة إلى الخطابات أو النصوص التي ضمنها في خطابه،[68] إذ نلاحظ من خلال قراءتنا الديوان أن الشاعر حسين الرفاعي يقتبس كلمات من الآيات القرآنية دون إخفاء أو إعادة تحوير، لأن الكلمات المقتبسة من القرآن الكريم واضحة، ويمكن للقارئ الحافظ كتابَ الله تعالى اكتشافها؛ لنكون مع ديوان لغة الجمال بصدد تناص صويح متمظهر من خلال علاقات نص بنص آخر بنيويا.[٦٩]

التناصّ في مقدمة الديوان، وعناوين قصائده، ومناسبات تلك القصائد

لم يقتصر التناص على الانضواء بين ثنايا أبيات القصائد الشعرية أي في صدرها حشوًا وعَروضًا، ولا في عجزها حشوًا وضرْبًا، بل شمل مقدمة الديوان، وعناوين قصائده ومناسباتها.

نستهل هذه الأمثلة بالإهداء الذي قدّمه الشاعر إلى قارئ الديوان مخاطبا له: إلى كل مُحِب للكلمة الطيّبة ذات الأصْل الثابت والتي تؤتي أكلَها كلّ حين بإذْن ربها؛[٧٠] وفي ذلك تناص مع قوله تعالى: [ومثلُ كلمةٍ طيّبةٍ كشجَرةٍ طيّبة أصْلُها ثابتٌ وفرْعُها في السماء تؤتي أكلَها كلّ حينٍ بإذن ربّها][71]. وندور أكثر في فلك الديوان، وبالضبط في مقدمته التي تدور في الفلك ذاته[٧٢] متناصة مع قوله تعالى: [لا الشمسُ ينبغي لها أنْ تدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقٌ النهارَ وكلٌّ في فلكٍ يسبحون][73]، لنقتفي في هذا الفلك أثر هذه اللغة الخالدة التي عنت وجوه اللغات لها[٧٤] متناصة مع قوله تعالى: [وعَنَتْ الوجوهُ للحيّ القيّوم][75].

لننتقل إلى عناوين القصائد حيث مرة أخرى عنت وجوه اللغات لها؛[٧٦] كيف لا وهي السرّاج الوهّاج[٧٧] متناصة مع قولِيْه تعالى: [وجَعلنا سراجًا وهّاجًا][78] [وسراجاً منيرًا][79] وهي كذلك ذات حُسن لا مثيل له[٨٠] متناصة مع قوله تعالى: [ليسَ كمِثلِه شيء][81]؛ فهي ليلايَ وليلى قيس[٨٢] الملوّح العامري (مجنون ليلى)؛ وهي الخِلّ الوفيّ[٨٣] حيث يتجلى التناصّ الأدبيّ ليكون الخِل الوفي عند العرب أحد المستحيلات الثلاثة، وهي: الغول والعنقاء والخلّ الوفي؛ ليبوح لنا الشاعر: فسبحان مَن صوّرها!؛[٨٤] فكأننا بذلك بصدد معراج إلى حيث الجمال[٨٥] وإلى حيث تناصٌّ مع الإسراء والمعراج... لينشأ ارتباط بين جديد لغة الجمال وقديم ما تراكَم من قرآن وحِكم وأقوال، ولنكون كذلك بصدد وعي بوحدة الثقافة العربية الأصيلة وسيرورتها الزمنية ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا.

لنخلص إلى أن الخطاب الديني، باعتباره منطلقا معرفيا للمسلمين، قد مثَّل منطلقا للشاعر حسين الرفاعي للتعبير عن حبه اللغة العربية وتشبّعه بالثقافة العربية– الإسلامية التي يعدّها مرجعه الأساس وملاذه، شأنه في ذلك شأن كل الشعراء الفحول القدامى والمعاصرين الذين أسدوا خدمات معرفية وإسهامات فكرية وشعرية للثقافة الإسلامية.

فاحتفى الديوانُ بمجموعة كبيرة من الاقتباسات من القرآن الكريم، والتي ترسّخ لدى القارئ مدى تشرّب الشاعر الإماراتي حسين الرفاعي للذكر الحكيم، واعتباره قدوة يجب استحضارها والتشبع بمضامينها بيقين واستلهامها كل آنٍ وحين؛ تماما كاحتفائه بالحديث النبوي الشريف.

الخاتمة

نخلص إلى أن الشاعر حسين الرفاعي قد أولى في ديوانه الشعري "لغة الجمال" اهتمامًا كبيرا للتناص في شكليْه الأدبي والديني، وبكل أشكاله (التناص الواعي واللاواعي والظاهر والباطن...)؛ وينم ذلك عن سعة إدراكه التراث الإسلامي العربي، وحِفظه القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأشعار العرب وأمثالهم؛ وقد أضْفت هذه الحمولة التناصية جمالا أكثر على "لغة الجمال"، متزينة بآيات قرآنية كريمة عظيمة ومتشبعة بأحاديث نبوية شريفة، ومتغنية بإحالات شعرية تراثية؛ مما أضفى على الديوان صبغة هُوياتية روحانية خارقة، لينأى بنفسه عن عولمة ظلماتية حارقة؛ لننتهي إلى القول إن اهتمامنا بحضور التناص التراثي في ديوان "لغة الجمال" للشاعر حسين الرفاعي لم يكن اعتباطا بل لتحقيق زمرة من المساعي، على رأسها تعزيزُ هويتنا الثقافية، وتعضيدُ قيمنا الروحية، والابتهالُ بمعارفنا الروحانية، والابتهاجُ بلغتنا العربية البهية الأبية...

الهوامش

١- جراهام آلان، نظرية التناص، ترجمة باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط. 1، 2011، ص. ١٣.

٢- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط. 1، 1991.

٣- مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص. 41.

٤- آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، مرجع سابق، ص. ٤٢. انظر كذلك نهلة الأحمد، التفاعل النصي/ التناصية، النظرية والمنهج، كتاب الرياض، ع. ١٠٤، يوليو 2000، ص.87.

٥- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة- باريس، 1987، ص. ٥٣-٥٤.

٦- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص. ٣٩١.

٧- ميخائيل باختين، المتكلم في الرواية، ترجمة محمد برادة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج. 5، ع. ٣٠، 1985، ص. ١١٤.

٨- مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، مرجع سابق، ص. ٣١٨.

٩- خالد بلقاسم، أدونيس والخطاب الصوفي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط. ٣، ٢٠٠٠، ص. ١٤.

١٠- رولان بارت، من الأثر الأدبي إلى النص، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع. 28، مارس1989 ، ص .115 .

١١- رولان بارت، لذة النص، ترجمة فؤاد صفا، الحسين سحبان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠١، ص. ٣٣. انظر كذلك: أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمان للنشر، عمان، ٢٠٠٠، ص. ١٤٨.

١٢- حميد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣. وصبري حافظ، أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات، القاهرة، 1996، ص. ٥٨.

١٣- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، ط. ١، 1992، ص. ٢٣. انظر كذلك: آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، مرجع سابق، ص. 79.

١٤-Gérard Genette, Palimpsestes, Edition Seuil, 1982, P. 8-٩.

١٥- هارولد بلوم، قلق التأثر، ترجمة عابد إسماعيل، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط. ١، ١٩٩٨، ص. ٥٠-٥١. انظر كذلك: مجموعة من المؤلفين، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٢.

١٦- انظر: جميل صليبا، مفهوم الجمال في المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢. انظر كذلك لالو شارل، مبادئ علم الجمال، ترجمة خليل شطا، دار دمشق، سوريا، ١٩٨٢.

١٧- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١١، عنوانها ليلاي وليلى ابن المولى. ص. ٤٩.

١٨- نفسه، القصيدة ١٢، عنوانها ليلاي وليلى قيس. ص. ٥٣.

١٩- نفسه، القصيدة ١، عنوانها عَنَت وجوه اللغات لها. ص. ٥٠.

٢٠- نفسه، القصيدة ١١، عنوانها ليلاي وليلى ابن المولى. ص. ٤٨.

٢١- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٣، عنوانها إلى مَنْ يدّعونَ حُبّها. ص. ٥٦.

٢٢- نفسه، القصيدة ١٨، عنوانها شموخ. ص. ٧٣.

٢٣- نفسه، القصيدة ١، عنوانها عَنَت وجوه اللغات لها. ص. ١٥.

٢٤- نفسه، القصيدة ٩، عنوانها بهجة اللقاء. ص. ٤٣.

٢٥- نفسه، القصيدة ١٣، عنوانها إلى مَنْ يدّعونَ حُبّها. ص. ٥٧.

٢٦- نفسه، القصيدة ٣٢، عنوانها ما نطقتُ عن الهَوَى. ص. ١٢٠.

٢٧- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٣٠، عنوانها أبْهَى الحِسان. ص. ١١٢.

٢٨- نفسه، القصيدة ٣٢، عنوانها ما نطقتُ عن الهَوَى. ص. ١١٨.

٢٩- نفسه، القصيدة ٤، عنوانها قرع على باب الجود. ص. ٢٨.

٣٠- مفيد نجم، التناص بين الاقتباس والتضمين والوعي واللاشعور، جريدة الخليج، ملحق بيان الثقافة، ع. 55 ، يناير 2001 ، ص. ٧. انظر كذلك: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط. ٢، ١٩٨٦، ص. ١٣١.

٣١- عبدالملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

٣٢- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٨٦، ص. 130 .

٣٣- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٣، عنوانها إلى مَنْ يدّعونَ حُبّها. ص. ٥٨.

٣٤- نفسه، القصيدة ١٥، عنوانها نَبْع الأصالة. ص. ٦٥.

٣٥- نفسه، القصيدة ١٧، عنوانها الحبّ الراسخ. ص. ٧٠.

٣٦- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٣، عنوانها السرّاج الوهّاج. ص. ٢٢.

٣٧- سورة النبأ، الآية 13.

٣٨- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٢، عنوانها لُغة الجَمَال. ص. ٢١.

٣٩- سورة يس، الآية 40.

٤٠- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٣١، عنوانها اللغة المِعطاء. ص. ١١٦.

٤١- سورة الواقعة، الآية 23.

٤٢- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٦، عنوانها الخِلُّ الوفيّ. ص. ٦٨.

٤٣- سورة فاطر، الآية ١٢.

٤٤- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٣١، عنوانها اللغة المِعطاء. ص. ١١٥.

٤٥- سورة ق، الآية ١٠.

٤٦- أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط. ٢، ١٩٨٩، ص. ٣٩.

٤٧- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٨، عنوانها شموخ. ص. ٧٣.

٤٨- سورة الكهف، الآية ٥٧.

٤٩- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٨، عنوانها شموخ. ص. ٧٣.

٥٠- سورة الكوثر، الآية ٣.

٥١- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٢٤، عنوانها كم أكرمت آلَها. ص. ١٠١.

٥٢- سورة الزلزلة، الآية ١.

٥٣- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٦، عنوانها أميرة القلب. ص. ٣٤.

٥٤- سورة الحجر، الآية ٩.

٥٥- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٣، عنوانها إلى مَنْ يدّعون حبّها. ص. ٦١.

٥٦- سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

٥٧- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٩، عنوانها لُغة الحضارة. ص. ٨٢.

٥٨- سورة الأنعام، الآية ١٢٧.

٥٩- صلاح فضل، إنتاج الدلالة – قراءة في الشعر والأدب والمسرح–، هيئة قصور الثقافة، 1993، ص. ١٤.

٦٠- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٩، عنوانها بهجة اللقاء. ص. ٤٤.

٦١- الراوي: سمرة بن جندب. حديث صحيح.

٦٢- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٤، عنوانها قرعٌ على باب الجود. ص. ٢٨.

٦٣- ديوان لغة الجمال، القصيدة ٤، عنوانها قرعٌ على باب الجود. ص. ٢٨.

٦٤- نفسه، القصيدة ١٠، عنوانها عندما تبسم الضاد. ص. ٤٦.

٦٥- ديوان لغة الجمال، القصيدة ١٨، عنوانها لغة الحضارة. ص. ٨٠.

٦٦- نفسه، القصيدة ١٩، عنوانها لغة الحضارة. ص. ٨٣.

٦٧- نفسه، القصيدة ٣٢، عنوانها ما نطقت عن الهوى. ص. ١١٨.

٦٨- نفسه، القصيدة ١٩، عنوانها لغة الحضارة. ص. ٨٦.

٦٩- شجاع مسلم العاني، الليث مجموعة خراف -قراءات في الأدب والنقد-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999 ، ص. 75.

٧٠- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، ط. ٢، 1997، ص.79-78. انظر كذلك: جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨.

٧١- ديوان لغة الجمال، الإهداء. ص. ٧.

٧٢- سورة إبراهيم، الآية ٢٤.

٧٣- ديوان لغة الجمال، المقدمة. ص. ١١.

٧٤- سورة يس، الآية ٤٠.

٧٥- ديوان لغة الجمال، المقدمة. ص. ١٢.

٧٦- سورة طه، الآية ١١١.

٧٧- ديوان لغة الجمال، ص. ١٣.

٧٨- نفسه، ص. ٢٢.

٧٩- سورة النبأ، الآية ١٣.

٨٠- سورة الأحزاب، الآية ٤٦.

٨١- ديوان لغة الجمال، ص. ١١١.

٨٢- سورة الشورى، الآية ١١.

٨٣- ديوان لغة الجمال، ص. ٥١.

٨٤- نفسه، ص. ٦٧.

٨٥- نفسه، ص. ١٠٨.

٨٦- نفسه، ص. ٩٠.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **المصادر**

ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المطبعة العصرية، بيروت، 1990.

ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004.

ابن منظور، لسان العرب، مادة "نصص"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. ١، مج. ١٤، ١٩٨٨.

أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ج. ١.

بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.

شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.

- **المراجع**

أولا: الكتب

أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمان للنشر، عمان، ٢٠٠٠.

أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط. ٢، ١٩٨٩.

تزفيتان تودوروف، نقد النقد، ترجمة سامي سويدان، منشورات مركز الإناء القومي، بيروت، ط. 1، 1986.

جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨.

جراهام آلان، نظرية التناص، ترجمة باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط. 1، 2011.

جميل صليبا، مفهوم الجمال في المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢.

جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط. 1، 1991.

حميد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣.

خالد بلقاسم، أدونيس والخطاب الصوفي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط. ٣، ٢٠٠٠.

رولان بارت، لذة النص، ترجمة فؤاد صفا، الحسين سحبان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت– الدار البيضاء، ط. 1، 1985.

سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، ط. ١، 1992.

شجاع مسلم العاني، الليث مجموعة خراف –قراءات في الأدب والنقد–، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٦.

صلاح فضل، إنتاج الدلالة – قراءة في الشعر والأدب والمسرح– هيئة قصور الثقافة، 1993.

عبدالملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

عبد الباسط مراشدة، التناص في الشعر العربي الحديث، دراسة نظرية تطبيقية، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط. ١، 2006.

عز الدين المناصرة، المثاقفة والنقد المقارن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨.

لالو شارل، مبادئ علم الجمال، ترجمة خليل شطا، دار دمشق، سوريا، ١٩٨٢.

مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.

محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١.

محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، لبنان، ط. ١، ١٩٧٩.

محمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار الحياة، بيروت، ج. 5، 1960.

محمد شعيب، المتنبي بين ناقديه، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤.

محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت– الدار البيضاء، ط. ٢، ١٩٨٦.

محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩.

ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة/ باريس، 1987.

مجموعة من المؤلفين، نصوص الشكلانيين الروس، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٢.

هارولد بلوم، قلق التأثر، ترجمة عابد إسماعيل، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط. ١، ١٩٩٨.

يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008.

ثانيا: المجلات والدوريات

خليل الموسى، التناص والأجناسية في النص الشعري، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع. ٢٠٥، ١٩٩٦.

رولان بارت، من الأثر الأدبي إلى النص، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع. 28 ، مارس 1989.

عبد الله الغذامي، كيف نتذوق قصيدة حديثة، مجلة فصول، "الحداثة في اللغة والأدب"، مج. 2، ع. 4، ١٩٨٤.

مفيد نجم، التناص بين الاقتباس والتضمين والوعي واللاشعور، جريدة الخليج، ملحق بيان الثقافة، ع. ٥٥، يناير 2001 .

ميخائيل باختين، المتكلم في الرواية، ترجمة محمد برادة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج. 5، ع. ٣٠، 1985.

نهلة الأحمد، التفاعل النصي/ التناصية، النظرية والمنهج، كتاب الرياض، ع. ١٠٤، يوليو 2000.

Gérard Genette, Palimpsestes, Edition Seuil, 1982.